

# تقديم

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحلیم محمود  
وزير الأوقاف وشئون الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم . . . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على  
أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين ،  
ويعد :

فيقول الله سبحانه وتعالى :

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، يَتْلُو  
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي  
ضَلَالٍ مُبِينٍ) .

• • •

ولقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالته بعد أن أعده الله سبحانه لتلقيها ،  
إن الأنبياء والرسل يعدّهم الله سبحانه قبل ميلادهم ، إنه يعدّهم في أصلاب الآباء  
والأجداد بالعرق الطاهر ، والميراث النقي . . . إنهم خيار من خيار من  
خيار . . .

يروى الإمام مسلم - بسنده - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ،  
واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من  
بنى هاشم » .

لقد اصطفاه الله من بنى هاشم ، واصطنعه لنفسه ، ورباه على عينه . .  
لقد رباه سبحانه من قبل الميلاد ، ومن بعد الميلاد ، ليحمل الرسالة الكبرى ،  
الرسالة العامة الخاتمة ، رسالة الإسلام .

ورسالة الإسلام : طابعها وشعارها وجوهرها ، إنما هو : إسلام الوجه لله ، هو السجود لله وحده ، هو : إياك نعبد وإياك نستعين ، إنه التوحيد ، أو هو الإسلام .  
فكلمة الإسلام : تتضمن هذه المعاني التي تتحدد وتتبلور ، برغم اختلاف الحروف والنطق ، لتلتقي كلها منصهرة في كلمة : الإسلام .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد من قبل الميلاد لحمل رسالة الإسلام ، وكان يعد من بعد الميلاد لحمل الرسالة : الإسلام .

ولقد سارت حياته بعد الميلاد على الطهر والنقاء ، وكان أول رمز جميل يعبر عن هذه الحياة ، حياة الصفاء والطهر : إنما هو رمز : « شق الصدر » .

وهذا الحادث وقع لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، منذ الطفولة المبكرة ، لقد كان صلوات الله وسلامه عليه — إذ ذاك — في بادية بني سعد ، عند مرضعته ، وبينما هو يلعب مع الغلمان — على ما يروى الإمام مسلم — أتاه جبريل فأخذه فأصعبه فشق عن قلبه ، فاستخرج منه علقة ، فقال : « هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده إلى مكانه » .

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه — يعنى مرضعته — يقولون إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو ممتنع اللون ، وكان ذلك وهو ابن أربع سنوات تقريباً .

وهذا الحادث : إنما يرمز إلى أنه — صلوات الله وسلامه عليه — قد طهره الله منذ الطفولة من حظ الشيطان ، وصدق بذلك قسم والدته حينما قالت لمرضعته : « والله ما للشيطان عليه من سبيل » .

وطُهره واستقامته منذ نشأته ، جعل العرب يلقبونه بـ « الأمين » ، ولم تكن كلمة الأمين اسماً له ، ولكنها كانت إذا أطلقت لا تنصرف إلا عليه ، وكانوا يفرحون بحكمه ، ويرضون بتحكيمة .

يقول الربيع بن خيثم : « كان يتحاكم إلى رسول الله ، في الجاهلية قبل الإسلام ، ثم اختص في الإسلام » ، ومن الأمثلة المشهورة في ذلك : قضاؤه صلى الله عليه وسلم في الخلاف الذي كان بين قريش بشأن وضع الحجر الأسود ، فإنهم حينما انتهوا في بناء الكعبة إلى حيث يوضع الركن من البيت ، قالت كل

قبيلة : « نحن أحق بوضعه » ، واختلفوا ، حتى خافوا القتال ، ثم جعلوا حكماً بينهم أول من يدخل من باب بني شيبه فيكون هو الذي يقضى بينهم ، وقالوا : رضينا وسلمنا بذلك . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من دخل من باب بني شيبه ، فلما رأوه قالوا : هذا هو الأمين ، قد رضينا بما يقضى بيننا ، ثم أخبروه الخبر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ، وبسطه في الأرض ، ثم وضع الركن فيه ، ثم قال : ليأت من كل ربع من أرباع قريش رجل ، فكان في ربع بني عبد مناف : عتبة بن ربيعة ، وكان في الربع الثاني : أبو زمعة ، وكان في الربع الثالث : أبو حذيفة بن المغيرة ، وكان في الربع الرابع : قيس بن عدى ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليأخذ كل رجل منكم بزواية من زوايا الثوب ، ثم ارفعه جميعاً » فرفعه ، ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في موضعه ذلك .

وهذه الحياة الطاهرة ، رافقتها شعور مرهف بحب الله سبحانه ، والسجود له ، وتوحيده وإسلام الوجه له . . . وهذا الشعور حب إليه الخلوة ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - أى : يتعبد - الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها .

وكان صلوات الله وسلامه عليه ، يغادر مكة منغمسة في الضلال ، ليعتكف في غار حراء متعبداً ، حتى قالت العرب : « إن محمداً قد عشق ربه » .  
واستمر الأمر على هذا النسق - من الاعتكاف والعبودية - إلى أن كان الوحي ، وكانت كلماته الأولى : ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ) .

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ هذه اللحظة يتحقق بالقرآن في واقعه وأصبح للقرآن صورتان :

صورة نظرية كلامية : هي هذه النصوص التي توحى .

وصورة واقعية حية تتمثل في رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثلاً كاملاً . . . حتى يمكن أن يقال عنه صلى الله عليه وسلم ، إنه كان قرآناً حياً يسير بين الناس . ولقد قالت السيدة عائشة - رضى الله عنها - تصف خلقه صلى الله عليه وسلم : « كان خُلُقُه القرآن » .

وكلمة « الخلق » هنا : إنما تعنى حياته كلها ، لقد كانت حياته كلها قرآناً  
ومن أجل ذلك كانت الآيات الكريمة تعبر عن ذلك بوضوح :

( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) . .

( إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ) . .

( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ  
لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ) .

أما الوصف الذى يجمع كل ذلك فى يقين جازم ، ويبين أن الرسول صلى الله  
عليه وسلم قد خلع لله بجميع أقطاره ، وأصبح ربانياً ، فهو قوله :

( قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ  
لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ) .

إن حياة الناس تخلص لله - على تفاوت فى هذا الإخلاص - فى بعض  
الأوقات .

أما حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد خلصت كاملة - فى ليله ونهاره ،  
فى صمته ونطقه ، فى حركته وسكونه - لله سبحانه . . . ولم تكن حياته وحدها هى  
التي خلصت لله . . . وإنما كان مماته أيضاً .

ولقد ميزت هذه الآية الكريمة بينه صلى الله عليه وسلم ، وبين بقية البشر . . .  
وصدق فيه قول الإمام البوصيرى - طيب الله ثراه ، وجزاه خير ما يجزى محباً  
لرسوله :

فبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم  
والإمام البوصيرى يتابع فى ذلك قول الله تعالى :

( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ) :

والأخ الفاضل الأستاذ حسن الملتاوى ، يتابع الجو القرآنى ، فى الحديث عن  
الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتحدث عن هذه المعانى التى ذكرناها . . . يتحدث

عنها في استفاضة وفي دقة ، ويتتبع القرآن الكريم فيما ذكره عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، تتبع الرجل المؤمن الدقيق ، الذى مارس الحياة الروحية ممارسة العابد المتبتل ، فأتاه الله فقهاً في الدين وفهماً في كتابه الحكيم .

والأستاذ حسن الملطوى من هؤلاء الذين اتجهوا إلى الله في صدق ، ووقفوا حياتهم للدعوة إليه بالقول وبالسلوك ، فنحى الله سبحانه وتعالى ، فهماً في المجالات الروحية لا تباح إلا لمن أخلصوا وجهم لله سبحانه .

ونحن نغتنب كل الاغتباط ، بأن وفقه الله تعالى للكتابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم . . . فإنه من خيرة هؤلاء الذين يعالجون هذا الموضوع . وليس هذا بأول شيء كتبه الأستاذ حسن الملطوى ، في التوجيه الروحي ، أو البحث الديني ؛ فقد كتب من قبل عن التصوف ، وعن الذكر ، وعن السيدة خديجة رضوان الله عليها ، وكتب في الفقه على مذهب الإمام مالك . . . وهو دائم العمل لخدمة الإسلام بكل ما يستطيع .

وكتابه هذا يأتي قمة من القمم الشاخنة ، في مجال الهداية إلى الله ، وفي مجال الدعوة إلى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وإننا نرجو له التوفيق الدائم ، والعمل المستمر . . . لخدمة دين الله ودعوة رسوله . . .

ونرجو الله سبحانه وتعالى ، أن يثيبه أحسن الثواب ، وأن يجزيه خير الجزاء ، وأن يوفقه دائماً إلى الصراط المستقيم .

عبد الحلیم محمود



## مقدمة

الحمد لله الذى بنعمته تمّ الصالحات ، والصلاة والسلام فى أكل صورهما على سيدنا محمد الذى ختم الله به المرسلين ، وجعله رحمة للعالمين ، وهدى به إلى الحق وإلى صراط مستقيم . . . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور ، ورضى الله أحسن الرضا عن آله الأطهار الأخيار ، وعن صحبه الكرام الأبرار ، وعن والاهم بإحسان إلى يوم الدين ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

أما بعد . . .

فإن الكتابة فى شأن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة وصعبة ، أما سهولتها فتأتى من سعة مواردها ، وكثرة مصادرها ، وأما صعوبتها فتنشأ من سمو قدره ، وعلو مقامه ، فيجد الكاتب مادة الكتابة غزيرة فى سيرته العاطرة ، لكنه مهما كتب وأبدع يرى ما كتب بعيداً عن تحديد صورته الحققة ، فيخجل من وضعه ، ويخشى أن يكون مسيئاً على غير ما أراد ، ولكنه لا يلبث أن يتبين أن ذلك ليس راجعاً إلى قصور فى استعداده ، وإنما يرجع إلى عظم المكان والمكين ، وكذلك كان شأن من سبقوه على كثرتهم ، فيلمس عذره وعذرهم ويقول ما قالوه :

فبالغ وأكثر لن تحيط بوصفه وأين الثريا من يد المتناول ويعلل نفسه بأن ما قاله إنما كان بلسان الحب والتقدير ، تبصرة وذكرى لمثله من المؤمنين المحبين ، ويتمثل قانعاً فيقول :

وقد كفانى أتى محب وأن المـ سرى مع من أحب يحشر

وقد كنت حاضرت منذ عشر سنوات بنادى التجارة وكان موضوع المحاضرة :

« رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم » .

وختمت المحاضرة بقولى :

ولأ أبرح مكافئ هذا قبل أن أتقدم لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخالص

التحية والإعظام ، وببالغ اعتذارى من قلة جهدى فيما تحدثت به عن مقامه الكريم ، طامعاً أن يحمل قصورى على رأفته ورحمته بالمؤمنين .

وأراني مضطراً في مستهل كتابى هذا أن أكرر ذلك القول وأنا موقن بقبول عذرى واعتذارى ، لأنه صلى الله عليه وسلم أجدر من قبل المعذرة ، وأغضى عن قصور استدعته الضرورة ، وقد كان من شمائله ألا يرد سائلاً أو يخيب رجاء .

وقد كان لتلك المحاضرة أثر في نفوس السامعين ، وكنت قد نهجت فيها نهجاً فيه شيء من التجديد ، وعدم التقيد بالتقليد ، في الآيات التي قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عوتب فيها ، وألهمنى ربي من عطائه ، أن أني العتاب من نصوص القرآن الكريم ، وأربط القصة الواحدة برباط الآيات المتفرقات ، فتظهر الصورة في الحادثة الواحدة متكاملة صافية لا شية فيها ، وقد أبدى لى استحسانه لما قرأ بعض أصحاب الرأى من القراء الكرام .

وقد تشرفت بعد ذلك بزيارته صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، واستأذنته وأنا بين يديه أن أكتب هذا الكتاب ليتم به ما بدأت به بالمحاضرة المذكورة ، ومرت الأعوام دون أن أكتب شيئاً ، حتى أسعدنى الله برؤياه صلى الله عليه وسلم في المنام في فجر الاثنين ٥ من شوال ١٣٨٦ هـ ( الموافق ١٦ من يناير ١٩٦٧ ) - وتتلخص الرؤيا المباركة السعيدة في أنني كنت والأخ الصالح الأستاذ توفيق أبو علم الوكيل الأول لوزارة العدل في الدور الثاني من منزل ، وجاء من يبشرنا بأن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيشرفنا بزيارة ، فأسرعنا بالنزول لاستقباله ، فلما دخل وأشرقت أنواره البهية وطلعت الزكينة ، قبلت يده الشريفة وذكرت له اسمى ، وأحسست أنني في جانبه صغير جداً في نفسى ، ثم استيقظت .

وقد قابلت بعدها بمدّة زميلى الفاضل الأستاذ توفيق أبو علم عند الكعبة المشرفة من عامين ، وكنتا معتمرين ، فقصصت عليه الرؤيا وبشرته بها ، فسرته كل السرور ، ثم التقينا في رمضان الفائت في الحرم النبوى الشريف ( وكنت أخبرته بعزمى على كتابة هذا الكتاب بعد أن ألقى المحاضرة المذكورة ) فإذا به يقول لى ونحن فى الحرم النبوى الشريف : ماذا تم فى الكتاب ؟ إننا ننتظر صدوره فى شوق شديد ، فمرَبَطْتُ بين قوله هذا وبين تذكر الرؤيا الشريفة ، وقلت فى

نفسى : لعل تذكيرى بالكتاب ونحن فى الرحاب النبوى يتضمن إذناً نبويًا بالكتابة ، وقد تفاءلت باسم الزميل توفيق أبو علم ، وأملت أن يصحبنى التوفيق فى الكتابة عن صاحب العلم صلى الله عليه وسلم ، وبخاصة أن الزميل توفيق قد وفق فألف كتاباً قيماً عن : « أهل البيت » وتمّ طبعه ونشره ، وعدت من المدينة المنورة ، فبدأت الكتابة فى شوال الفاتح ، وتيسر لى ما يقرؤه القارئ فى هذا الكتاب الذى بين يديه ، ولعل التوفيق حالفنى فيه كما أملت . فتكون الرؤيا قد تحققت فى الثماتنا السعيد معاً بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عالم التأليف الذى يتصل به وبأهل بيته الكرام ، ويكون تفضله بالزيارة فى الرؤيا علامة القبول بإذن الله .

وفى غضون الأيام القليلة الفاتحة ، بشرنى تلميذى الصالح الدكتور عجمى حسين عجمى برؤيا مباركة ، رأى فيها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له كلاماً يقرّظ فيه الكتاب ، وكان يذكر الكلام فى أثناء الرؤيا ، ولكنه نسيه بعد استيقاظه ، وأخذت من رؤياه بشرى الإذن بالكتابة ، وبشرى أخرى بالقبول ، والهدية على قدر مهديها ، وليست على قدر المهداة إليه صلى الله عليه وسلم .

ومع صعوبة المرتقى فى الكتابة عنه ، والإحاطة به صلى الله عليه وسلم ، فإن اللجوء إلى كتاب الله تعالى أنار لى سبيل الاهتداء بأنوار القرآن الكريم إلى معالم الطريق ؛ ولئن كان القرآن الكريم واسع الأقطار ، عميق البحار ، إن مباحث الكتاب ازينت بأنواره القدسية المشعة ، وهو ما يعطى القارئ سعادة روحية ، فى أن يستمتع بها ، ويفتخر منها مشرباً هنيئاً سائغاً للشاربين ، على قدر ما استطعت مناولته من تلك الأقطار الواسعة والبحار العميقة ، ولا سيما أن قصدت أن يكون الكتاب دعامة من دعائم التربية الإسلامية الصحيحة للقارئ . بما ضمته فى كل مناسبة من أقوال أسلافنا الصالحين ، وإرشادات أئمتنا العارفين ، إلى جانب القصد الأصيل من عرض صور مختلفة مما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى كتاب الله عز وجل ، ذلك الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى أيد الله به الرسالة المحمدية على مر العصور والدهور ، فكان أخلد المعجزات وأبهاها على الزمن ، كما كان الحصن الحصين للمسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وإذا رآني القارئ الكريم قد أطلت قليلا في بعض المواطن التاريخية فليعذرنى ، فإنى أردت بالتطويل أن أرد القارئ إلى الفهم الصحيح في الموقف الدقيق ، الذى خاض فيه الخائضون ، ولج فيه المفترون من المستشرقين ، لأغراض دنيئة ، قصدوا بها تشويه الحقائق وتلييسها على الناس لحاجة فى نفوسهم أضمروها كيدا للإسلام والمسلمين ، وقد يتأثر بما كتبوا بعض الناشئين من المؤمنين - عن حسن نيّة - إذا لم يكن ملماً بحقيقة تلك المواقف التى تتصل بسيد المرسلين وأطهر المطهرين ، فى حياته أو بعد وفاته صلى الله عليه وسلم .

كذلك أرجو أن يعذرنى القارئ الكريم إذا رآنى قد خالفت ما جاء فى بعض التفاسير ، مما لا يليق به صلى الله عليه وسلم ، أو بإخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فعصمة الأنبياء والمرسلين عندى مؤكدة بيقين ، وما نسب إليهم من الوقائع لا يحمل الأمر فيه على ما يقع منا من ذنوب أو مخالفات بحجة أنهم بشر ، فهم حقيقة بشر ، ولكنهم مصطفون بعلمه سبحانه ، ومطهرون بفضله تعالى ، وقد أثبت لهم الله فضلهم فى القرآن الكريم ، فلننظر فى أمورهم بعين ذلك الفضل ، ولا نقصهم منه شيئاً ، ولا يغيب عنا لحظة واحدة قوله تعالى : ( اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ) أو قوله تعالى : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ) أو قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ) ، أو قوله تعالى : ( وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ) .

ولانى أحمده سبحانه وتعالى إذ وجدت عونهُ فيما كتبت ، وعلامة الإذن التيسير كما يقول العارفون ، كما أن المعانى التى ألهمنيها ربى وجدتها بعد ذلك مقررة فيما وقع لى من مراجع العلماء العارفين ، وتوارد خواطرى ، واتفقها مع خواطرم ، إنما هو بركة من بركات سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد غمرتني بنعمة الله طوال حياتى ، ولست أنكر ذلك لأنه تحدث بنعمة الله ، كما لا أنكر أنى محب له بكل ذرة من ذراتى ، وبكل نفّس من أنفاسى ، وبكل إحساس من أحاسيسى ، وكنت أقول لنفسى وأنا أكتب ذلك الكتاب :

ما شئت قل فيه فأنت مصدق فالحب يقضى والمحاسن تشهد

وكنت أقول ذلك مع تصديقي لما قاله إمامنا البوصيري رضي الله عنه في  
همزته :

إن من معجزاتك العجز عن وصفك إذ لا يحده الإحصاء

ولقد عذرت سادتنا الصحابة الكرام ، وعلى رأسهم الأربعة الكبار سادتنا  
أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، حين طاشت عقولهم بموت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، حتى هدد عمر أن يضرب بسيفه من يقول إنه مات ، وخرس  
عن الكلام عثمان ، وأخذ الإمام علي يروح ويحيى ، وكان أنبتهم أبا بكر ، ولكنه  
مع ثباته وتمكينه جاء وعيناه تهملان ، وزفراته تتردد ، وغصصه تتصاعد وترتفع ،  
فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه ، وكشف للظوب عن وجهه ،  
وقال : طببتَ حياً وميتاً ، واتقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء ، فعظمت  
عن الصفة ، وجللت عن البكاء ، ولو أن موتك كان اختياراً ، لجدنا لموتك بالنفوس .  
اذكرنا يا رسول الله عند ربك ، ولنكن من بالك .

أما السيدة الزهراء ، وهي أحب بناته إليه صلى الله عليه وسلم ، فقالت راضية  
مرضية فيما رواه البخاري رضي الله عنه : يا أبتاه ، أجا رباً دعاه ، يا أبتاه ،  
من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ، إلى جبريل نعاها .

وأما أنس بن مالك ، وهو خادمه الأمين رضي الله عنه ، فقد قال فيما رواه  
الترمذي رضي الله عنه : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا أيدينا من التراب وإنما نفي دفنه حتى  
أنكرنا قلوبنا

وأما حسان بن ثابت رضي الله عنه وهو شاعره الخاص فقد قال :

كنت السواد لناظري فعمى عليك الناظر  
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وتلك الكلمات على قلتها تريك أثر محبته صلى الله عليه وسلم في المحيطين به  
عن قرب ، والواقفين على أقواله وأفعاله وأحواله ، وقد أوجزت السيدة عائشة وصفه ، وهي

الفقيهه الراشدة ، واللبية العاقلة ، والزوجة الأثيرة ، بنت الصديق الأثير مولانا أبي بكر وهو أول المؤمنين إسلاماً من الرجال ، وأول الخلفاء الراشدين ، والإمام الأكبر ، والعلم الأشهر ، فقالت : كان خلقه القرآن .

وحسبك من وصفها هذا أنه صلى الله عليه وسلم استنار بنور القرآن ، وتأدب بأدب القرآن ، وتحلّى بأحكام القرآن ، فكان أفضل البشر وأكملهم على الإطلاق ، كما كان خير الخلائق أجمعين من أهل السموات وأهل الأرضين ، فهو صنيّ ربه الأصفى ، وحبيبه الأسمى ، ومختاره الأوفى ، ومجلاه الأعلى ، ومصطفاه الأولى ، وإن سألت دليلاً على ذلك فاقراً قوله تعالى : ( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ) (١) فهو كما ترى ميثاق ربّانيّ بزعامته صلى الله عليه وسلم للرسول أجمعين .

وإذا رأيت أن تتذكر بعض شمائله التي حلاه الله بها وطبعه عليها ، فأليك ما قال صاحب تحفة الأخيار ، سيدي العارف بالله أبو عبد الله الأنصاري التونسي المالكي ، المتوفى في سنة ٨٩٤ هـ :

« كان عليه الصلاة والسلام أكلل العالمين خلقاً وخلقاً ، وتذكّر وفور عقله وذكاء لبّه ، وقوة حواسه ، وفصاحة لسانه ، واعتدال حركته ، وحسن شمائله ، وشرف نسبه ، وكرم بلده ، وحلمه واحتماله ، وعفوه مع قدرته ، وصبه على ما يكره ، وجوده زكومه ، وسخاه وحياءه ، وشجاعته وسماحته ، ونجدته وفضيلته ، وصفاء مودته ، وبذل تضحيته ، وحسن عشرته وآدابه ، وشفقته ورحمته بجميع الخلائق ، وحرصه على إيمانهم ، ووفاه وحسن عهده ، وصلة رحمه ، وتواضعه على قدر رفعة وعلومنصبه ، وعدله في سيرته ، وأمانته وعفته ، وصدق لهجته ، ووقاره وصحبته ، وتأدبه ومروءته ، وحسن هديه ، وزهده في الدنيا ، وخوفه من ربه ، وطاعته له ، وشدة عبادته ، وعلمه برّبّه ، وشكره وإنابته إلى ربه ، وحسن قيامه بحقه ، وجميل

رجائه ، وصدق يقينه ، وتوكله على ربه ، ومحبته فيه ، وشدة إيمانه بغيبه ، وكثرة صلواته وصيامه ، وشكره وإعطاءه من مال ربه . » .

فما من محاسن الأخلاق صفة إلاّ وقد حازها ، وما من درجة من درجات اليقين إلاّ كان أساسها .

أقول ولا تطمع أن تحيط بها عدّاً ، أو أن تسردها سرداً ، فإنها أكثر من أن تحصى ، وأبعد من أن تستقصى .

وصدق إمامنا البوصيري إذ يقول :

فإن فضل رسول الله ليس له حدّ فيعرب عنه ناطق بضم

كما صدق سلطان العاشقين ابن الفارض حين قال :

أرى كل مدح في النبي مقصراً وإن بالغ المثني عليه وأكثرأ

إذا الله أثني بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الوري

وإذا أردت أن تعرف كيف اختاره الله على علم ، فاقرأ ما رواه ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قسم الخلق

قسمين ، فجعلني من خيرهم قسمًا ، وذلك قوله : ( وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ) ، ( وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ ) ، فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل

القسمين اثلاثًا فجعلني في خيرها ثلثًا ، وذلك قوله تعالى : ( وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ » وَالسَّابِقُونَ

السَّابِقُونَ ) . فأنا من السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل ، فجعلني في خيرها

قبيلة ، وذلك قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) ، فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ، ثم جعل القبائل

بيوتًا ، فجعلني في خيرها بيتًا ، فذلك قوله تعالى : ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ) . » .

أرأيت كيف كان صلى الله عليه وسلم خياراً من خيار من خيار ، وكيف

سعدت أمته بهذا الخيار ، فكانت أمته خير أمة أخرجت للناس ، وحظ الوريث

من حظ مورثه ، وما أسعدنا به صلى الله عليه وسلم ، فكل فضل جاءنا في ديننا  
ودنيانا ، فلإنما جاءنا ببركاته ، ومن فيض جود الله عليه ، ورحم الله سيدى العارف  
الشيخ أحمد الحلوانى الخليجى إذ يقول :

أنشاك نوراً ساطعاً قبل الورى فرداً لفرد والبرية فى العدم  
ثم استمد جميع مخلوقاته من نورك السامى فى عظم الكرم  
تلك المعارف والعارف فيهمو من بحر متك العميمة سيب يم  
بالله صل حبل الرجاء تعظماً أنا ضيف جودك يا إمام أولى الكرم  
جُدْ للضعيف بمبتغاه فإنه ما للضعيف سوى رحابك ملتزم  
جد لى فإن خزائن الرحمن فى يدك اليمين وأنت أكرم من قسم  
وشاهدته فى ذلك قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) .

وهكذا شاء الرحمن الرحيم أن يرحم العالمين على يديه صلى الله عليه وسلم ،  
وما خصن عالماً دون عالم ، بل نال كل عالم من العالمين ، ما شاء الله له من تلك  
الرحمة ، وحق لإمامنا البوصيرى إذن أن يقول :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت ملحاً فيه واحتكم  
ولا تحسبن أن عطاء الله له وقف عند أمور الدنيا الفانية ، فقد أعطاه المقام  
المحمود فى الآخرة بقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ  
يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا) ، وهو مقام الشفاعة للخلائق ، فى الانصراف من  
الموقف إلى الحساب ، ثم يشفع بعد ذلك للمؤمنين فى دخولهم الجنة ابتداء ، أو فى  
خروج عصاتهم من النار ، كما هو معلوم من حديث الشفاعة ، فكل رسول كريم حين  
يعاين أهوال القيامة يقول : نفسى نفسى ، ويقول رسولنا الأكرم صلى الله عليه  
وسلم : « أمتى أمتى » ، وحين يستشفع الناس به يقول : « أنا لها » ، وهو ما يشير  
إليه سيدى الشيخ أحمد الحلوانى رضى الله عنه فى قصيدته المستجيرة بقوله :

فالأصل أنت أبو الوجود ومنك فا ض الجود فى الدنيا وفى الأخرى وعم  
والخلق فرع أنت أصل وجوده والفرع مرجعه إلى الأصل الأشم

فلذا إليك الخلق تفرع كلهم في هذه الدنيا وفي اليوم الأهم  
 وإذا رجوك غداً تقول أنا لها واليوم قمت بأمرهم حتى استتم  
 وسيقول له رب العالمين : اشفع تُشفِّع ، وسل تُعط ، وقُلُّ يُسمع لك ،  
 فما أعظم شأنه في دنياه وأخراه صلى الله عليه وسلم .

وأود أن ألقت النظر إلى أن ما يجده القارئ من المفاضلة بينه صلى الله  
 عليه وسلم وبين إخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ليس المقصود  
 منه الانتقاص من أقدارهم ، حاشا ، فإن أقدارهم في محلها الرفيع الذي أراده الله ،  
 كما نطق بها كتاب الله ، وإنما هو بيان لمقامه بينهم صلى الله عليه وسلم كما جلاّه  
 القرآن الكريم ، ونحن ما فضلناه عليهم ، ولكن الله فضله ، فبيناً للقارئ كيف  
 فضله الله في آياته البيِّنات ، أما قوله صلى الله عليه وسلم : لا تفضلوني على يونس  
 ابن متى ، فإنه نهى عن انتقاص أحدهم ، وبخاصة أنه جاء في شأن سيدنا يونس  
 عليه السلام .

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ \*  
 لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ \* فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ  
 فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) .

وقد يسىء القاصر فهم الموقف فينتقص جهلاً من اجتنابه ربه وجعله من  
 الصالحين ، وإذا تجرأ جهلاً على انتقاص واحد من المرسلين ، تجرأ على انتقاص  
 غيره وكان من الغاوين ، ونعوذ بالله من جهل الجاهلين وضلال الضالين .

وسيرى القارئ الكريم فيما يقرأ مفاضلة لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ،  
 وهي مفاضلة بالحق ، الذي جعله الله على لسان عمر وقلبه بدعوته صلى الله عليه  
 وسلم ، ولو أنه رضى الله عنه فهم من الحديث النهي المطلق ما فاضل ، ولكنه فهم  
 الحديث على وجهه ، فصور مقام الرسول الأعلى بين المقامات العالية ، فأعطى  
 كلَّ ذى حق حقه ، ولم يبخس منه شيئاً .

وليتزّه القارئ بعد ذلك في رياض الكتاب المونقة ، ويستنير بشمسه المشرقة  
 في رعاية من الله ورسوله ، وفي أمن وإيمان ، وليعلم من أمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم ما جهل ، أو يتذكّر من أمره ما نسي ، وليكن همه أن يكون مسلماً صادقاً ، جديراً بالانتساب إلى الإسلام الذي جاء به ذلك الرسول الأعظم ، فدعا إليه بقوله وفعله وحاله ، وجاهد في سبيله بنفسه وماله ، في الحرب والسلم ، في عزم لا يلين ، وقوة لا تهى ، وهمة لا تفر ، إثارةً لله على ما سواه ، ومن عرف ربه هان عليه ما يبذل في سبيله .

وليكن لك أيها القارئ برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة كما نصحك الله ، فتخلق بأخلاقه ، واتسم بصفاته ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالفقه عنه ، والاستماع منه ، والطاعة له ، فإنك إن فعلت ، سعدت مع السعداء في دنياك وأخرتك ، كما سعد السابقون الأولون ، والآخرون الصالحون ، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون ، وتأمل فيما نبهنا إليه أهل الفراسة والفتنة حين قالوا: إن الله تعالى جعل لرسوله مناسبة تشرىف حين جعل حروف : « لا إله إلا الله » اثني عشر حرفاً ، وجعل حروف « محمد رسول الله » اثني عشر حرفاً ، وسرّ هذه المناسبة كانت لهؤلاء الخلفاء الراشدين أيضاً ، فاسم « أبو بكر الصديق » ، واسم « عمر بن الخطاب » واسم « عثمان بن عفان » ، واسم « علي بن أبي طالب » ، يشمل كل منها اثني عشر حرفاً ، وهي مناسبة لإرضاء الله في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما يكشف لك عن سر سعادتهم ، لكمال مناسبتهم في أخلاقهم للحضرة النبوية الشريفة ، وقد شهد الله لها بالكمال في قوله تعالى :  
( وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ ) .

وإن أردتَ ضمناً بالسعادة فهماكه من ربك لا منى (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ  
وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصُّدُقِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ  
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۗ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلِمًا) (١) .

هذا وأرى لزاماً عليّ أن أتقدم بجزيل شكرى لصديق الوفي والعلامة التقي الدكتور عبد الحلیم محمود ، إذ تفضل فقدم الكتاب لقرائه وزكّى الكاتب وما كتب ، مما أعزّ به ، وأطمع أن أكون أهلاً لحسن ظنه وجمال وصفه ، فإنه

من علمائنا العاملين وأتمنتنا العارفين الذين ندخرهم للدنيا والدين .  
 كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأحبابي السادة المخلصين الأستاذ سعيد  
 الأنصاري المدير العام بمصلحة الضرائب ، والمهندس علي حافظ بوزارة الصناعة ،  
 والأستاذ عبد الحميد أحمد المطاوي المراقب العام للإيرادات بالميزانية، لما بذلوه من  
 مجهودات حميدة في مراجعة أصول الكتاب مما أغنانى عن حمل عبء المراجعة  
 وحدى .

فاللهم كافئ الجميع عنى يا رب العالمين . والسلام على من اتبع الهدى .

المؤلف  
 حسن كامل المطاوي

الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٣٩٢ هـ  
 ٤ من مايو ١٩٧٢ م